

الابداع عند طه عبد الرحمن

Creativity in Taha Abdurrahman

الدكتورة: بدة فوزية	الدكتور . شويني علي*
جامعة 8 ماي 1945 قلمة	جامعة 8 ماي 1945 قلمة
beddafouzia@gmail.com	chouiniali21061987@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/21 تاريخ القبول: 2023/03/09

الملخص:

تعد مسألة الابداع من بين القضايا التي بني عليها مشروع طه عبد الرحمن، فكان الابداع عنده غاية ووسيلة، يمكن الفرد العربي من خلق حداثة عربية إسلامية تتماشى مع مجاله التداولي وبواسطته يحقق النهضة ويتحدى الجمود الفكري والتخلف الحضاري، فلا يمكن ان تتأسس الحداثة الا في جو يسوده الابداع لا التقليد لأنه يمنع الانسان العربي من بناء نفسه ومجتمعه، فتقليد الاخر لا ينتج لنا الا فرد يعاني من انفصام بين الفكر والواقع غير قادر على وعي ذاته ولا على تشخيص واقعه، لذا نجد ان الابداع هو المحور الذي يدور حوله مشروع طه عبد الرحمن يرمي من خلاله الى بناء المسلم العربي وفق مبادئ منبعها المجال التداولي للأمة العربية الإسلامية .

كلمات مفتاحية: الإبداع .، القول الفلسفي .، الحداثة الإسلامية .، الترجمة.

Abstract:

(The issue of creativity is one of the issues which Taha Abdurrahman's project was built on. In it, creativity is considered as a means and as an end as well. It enables the Arab individual to create an Arab Islamic modernity that is in line with his deliberative field and through which he achieves renaissance and defies intellectual stalemate and cultural backwardness. Modernity cannot be reached unless there is an atmosphere that is full of creativity, not tradition, because this latter prevents the Arab man from building himself and his society. The imitation of the other does not produce but an individual suffering from schizophrenia between thought and reality, unable to recognize himself or to diagnose his reality. That is why we find that creativity is the pivot around which Taha Abdurrahman's project turns, and through which he tends to build the Arab Muslim on principles based on the deliberative field of the Arab Muslim nation.

Keywords :

Creativity, Philosophical Saying, Islamic Modernity, Translation.

1. مقدمة:

تعد مسألة الابداع من بين المسائل التي اصبحت تطرح بكثرة في الفكر العربي المعاصر، وذلك يعود الى الحاجة اليه من اجل تحقيق النهوض ومواكبة التطور القائم على جميع المستويات وخلق واقع يفوق الوضع القائم الذي يتميز بالتخلف والتبعية والتقليد، فالأمة العربية الاسلامية لها مقوماتها وخصائصها التي تجعلها تختلف عن باقي الامم مما يفرض عليها ان يكون الابداع من داخلها لا مأخوذاً من غيرها، اي ان يكون الابداع منبثق من واقعها من اجل ان يكون له فعالية في تغييره، وهذا ما دع اليه العديد من الفلاسفة والمفكرين، الذين اعتبروا الابداع المخرج الوحيد للنهوض بالأمة العربية وبلوغ الحداثة.

يعد المفكر المغربي طه عبد الرحمن من بين الحاملين للدعوة الى الابداع و ذلك من اجل تجاوز التقليد والتأسيس لحداثة عربية اسلامية، تكون قائمة على الاستقلال الفكري متشعبة بروح الاسلام، فالإبداع ثورة ضد التقليد والاتباع الذي يجعل الامة العربية في تبعية دائمة للغرب كما كان في الماضي او كما هو قائم اليوم من خلال المشاريع الفكرية التي حملها مفكري العرب عن الغرب، دون بذل جهد لإبداع مشاريع تتوافق والبيئة الاسلامية العربية، وانطلاقاً من هذا الوضع نجد ان الاشكال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن تحقيق الابداع في ظل التبعية التي تسيطر على الفكر العربي المعاصر؟ وكيف يساهم الابداع في تحرير القول الفلسفي؟ و هل يمكن من خلاله تأسيس حداثة عربية اسلامية؟ و هل الابداع يلغي وجود الاخر ام انه يستثمر ما توصل اليه الغرب كما هو الحال في مسألة الترجمة عند طه عبد الرحمن؟

2. مفهوم الابداع عند طه عبدالرحمن:

يعد الابداع من بين المفاهيم التي لا يمكن حصرها في تعريف واحد، فقد اختلفت الفلاسفة في تحديد دلالاته، ان الابداع في الفرنسية *Création* وفي الانجليزية *Creation* وفي اللاتينية *Creatio* وفي اللغة يعرف الابداع بأنه " احداث شيء على غير مثال سابق ، وعند البلغاء: اشتغال الكلام على عدة ضروب من البدي¹ ويذهب جميل صليبا في معجمه الفلسفي الى حصر مفهوم الابداع في ثلاث معاني يتمثل اولها في تأسيس الشيء من اللاشيء " اي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا كالإبداع الفني، والابداع العلمي² اما ثانيها فيتمثل في ايجاد شيء من العدم ، اي ايجاد شيء من اللاشيء وهذا النوع من الابداع خاص بمبدع الكون وخالق الانسان لأنه اخرج من العدم الوجود وفي هذه الحالة كان من الضروري ان يميزوا بين الابداع و الخلق و ان كان كل منهما له علاقة بالآخر ، الا ان الابداع اعم و اشمل من الخلق حيث قالوا " الابداع ايجاد شيء من اللاشيء، والخلق ايجاد شيء من شيء لذلك قال الله تعالى بديع السموات والأرض، ولم يقل بديع الانسان، بل قال خالق الانسان³ ، اما ثالثها كما يرى جميل صليبا فهو ايجاد شيء لم يكن من قبل مسبق بالعدم ويقابله "الصنع" حيث يقول ابن سينا في كتابه الاشارات " الابداع هو ان يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان، وما يتقدمه عدم زماني لم يستعن عن متوسط "

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982، ص 31.

2- المرجع نفسه، ص 31.

3- المرجع نفسه، ص 31.

¹ كما يعتقد ايضا جميل صليبا ان الفلاسفة في مفهومهم للإبداع لم يخرجوا عن هذه التعريفات الثلاثة . أما لالاند فقد عرف الابداع في موسوعته الفلسفية بأنه مرادف للخلق والاختراع والإنشاء " ويعني انتاج اي شيء، خصوصا اذا كان جديدا في شكله، لكن بواسطة عناصر موجودة من قبل: خلق عمل فني، انشاء طريق، خيال خلاق "².

يعرف طه عبد الرحمن الابداع من ناحيتين لغوية واصطلاحية فالإبداع لغة هو " اخراج الشيء الى حيز الوجود اي احداث الشيء ³ اما اصطلاحا فلا يمكن ايجاد تعريف واحد للإبداع، فالتعاريف تختلف باختلاف المجال الذي تتناول فيه الابداع كموضوع حيث يقول: " ويفيد اصطلاحا معاني تختلف باختلاف المجال الثقافي الذي يتعلق به، فيعني اولا في علم الكلام احداث الشيء على غير مثال سابق في مقابل الاحتذاء، فيكون مرادفا لمفهوم الابتكار، ويعني ثانيا في مجال الفلسفة العربية احداث الشيء من اللاشيء في مقابل الاقتباس، فيكون مرادفا للاختراع، ويعني ثالثا في مجال الادب احداث عمل فني في مقابل الانتحال، فيكون مرادفا لمفهوم الانشاء "⁴.

وانطلاقا من هذا التعريف يمكن التمييز بين ثلاث انواع من الابداع عند طه عبد الرحمن وهي الابتكار والاختراع والانشاء وهذه الانواع الثلاثة هي مراتب لا بد من توفرها عند طلب الابداع، حيث يكون ادناها الابتكار " الذي هو ابداع للصورة، يليه الاختراع الذي هو ابداع للمادة، ... ثم الانشاء الذي هو ابداع للصورة او للمادة مع صنعة "⁵.

3- الابداع وتحرير القول الفلسفي :

يحمل مشروع طه عبد الرحمن دعوة صريحة الى تأسيس فلسفة عربية اصيلة وهذا لن يتأتى إلا من خلال تحرير القول الفلسفي من كل تأثير اجنبي، وفي هذه الحالة يقصد طه عبد الرحمن من ذلك تحرير الفلسفة العربية من التبعية الغربية، واستبدال هذه التبعية بالإبداع الذاتي، ذلك لان جميع الفلاسفة قد وقعوا في هذا الخطأ دون ان يتنبهوا لقيمة الابداع الذي تحتاج اليه الامة العربية، جاعلين بذلك الفلسفة اليونانية هي غايتهم ومنطلقهم الاساسي فكانت الفلسفة الاسلامية تابعة لها ولم تتمكن من تجاوزها وبقيت مرتبطة بها على الرغم من ان الفلسفة الإسلامية اختلفت في العديد من المسائل مع الفلسفة اليونانية خاصة في مجال الاهليات وتعدد الالهة وكذلك ابداع الفكر الاسلامي العديد من القضايا التي لم تكن موجودة من قبل لدى اليونان مثل علم اصول الفقه وعلم الكلام التي هي في حقيقتها ذات منبت اسلامي خالص إلا ان تأثر فلاسفة الاسلام بالطابع العقلي امر لا يمكن نكرانه في هذه القضايا حيث يقول طه عبد

¹ - المرجع السابق، ص 31.

² - اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الاول، ترجمة: خليل احمد خليل، منشورات العويدات، بيروت، ط 2، 2001، ص 235.

³ - طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2008، ص 113.

⁴ - المصدر نفسه، ص 114.

⁵ - المصدر نفسه، ص 114.

الرحمن: "بيد ان جمود اغلب متفلسفة الاسلام على الرتبة الاولى من النظر العقلي، على شاكلة اليونان، حال دون تبينهم هذه الصبغة الفلسفية الاصلية، والاستفادة منها في تنويع اشكال التفلسف"¹.

ويعد ابن رشد في نظر طه عبد الرحمن من الاوائل الذين ادخلوا الفلسفة الاسلامية في تقليد لم تتمكن من الخروج منه، فلم يبدع ابن رشد إلا في اطار ما يخدم الفلسفة اليونانية دون ان يساهم في انتاج فلسفة اسلامية حيث يقول طه عبد الرحمن: "لا نزاع في ان ابن رشد خير من يمثل هذا الاستئناف المقلد، اذ جاء في فلسفته بما يكمل اثار ارسطو، موضحا ما غمض منها مجيبا عما طرح فيها"² وهذا التقليد لا يزال قائم في الفلسفات المعاصرة بدليل ان الفلسفة عربية والإسلامية تعتبر الفلسفات الغربية نموذجاً تسير على خطاه دون اخضاعه للدراسة النقدية التي يكون "قصارى النقد فيها هو تصحيح الممارسة الفلسفية لا تخطئتها، وتسديد مسارها لا التنقيص من شأنها ولا القدح في اهلها"³ وغياب هذا انعكس سلباً على الفلسفة العربية حيث نجد ان اغلب المفكرين العرب لم يتمكنوا من ابداع فلسفة تكون ذات صبغة عربية، بل نجد انهم استعاروا الافكار و المناهج الغربية التي اصبحت بمثابة مرجعية لا يمكن تجاوزها وأرادوا من خلالها دراسة الواقع العربي وتغييره وهو ما أكد عليه أيضاً أحمد بركاوي عندما قال ان "في مصر حمل زكي نجيب محمود معه من أمريكا الفلسفة الوضعية المنطقية وحمل بدوي معه من فرنسا الفلسفة الوجودية والحبابي من المغرب حمل معه من فرنسا الشخصية، والكسم حمل معه من جنيف البرغسونية واغلب من تخرج من الدول الاشتراكية حملوا معهم الماركسية"⁴، وفي هذه الحالة نجد ان التساؤل الذي يفرض نفسه هو ماذا ابدع العرب ان كانت الافكار و المناهج مستوردة من الغرب؟ و للإجابة يمكن القول ان فلسفة هؤلاء ما هي الا تقليد اما الابداع فانه امر متعذر لا يمكن العثور عليه في فلسفتهم، وهذا النقل للفلسفة الغربية كان له تأثير كبير على الابداع بأصنافه المتمثلة في الابتكار والاختراع والانشاء وللتخلص من هذه التبعية وبناء فلسفة عربية تتفق و المجال التداولي العربي الاسلامي يقوم طه عبد الرحمن بالاعتراض على كافة المسلمات التي تحول دون ايجاد قول فلسفي عربي انطلاقاً من مراتب الابداع .

ان القول الفلسفي عند طه بمثابة خطاب يهدف من خلاله المتفلسف الى ابلاغ رسالة الى المتلقي من اجل تغيير الواقع القائم لهذا يشترط طه عبد الرحمن مراعاة المجال التداولي حيث يقول طه عبد الرحمن: "ان القول الفلسفي ليس مجرد قول، وإنما هو خطاب والخطاب هو عبارة عن توجه القائل بالقول الى المتلقي بغرض افهامه مقصوداً معيناً، ويستفاد من هذا ان مراعاة وضع المتلقي شرط في حصول الخطابية"⁵ ونجاح الخطاب مرهون بتحريره من كل تبعية و هذا يكون من خلال التخلص من كافة العوائق المرتبطة بالابتكار والاختراع وكذلك الانشاء لان اجتماعهم امر ضروري وكل واحد منهم يكمل الآخر فهذه العوائق بمثابة موانع تحول دون ابداع فلسفة عربية اسلامية لذا يجب على كل مبدع ان يتحلى بالإرادة التي تخلق فيه روح الابداع لان لا يحصل "عن كمال في الإرادة كما هو الابداع

¹ - طه عبد الرحمن ، سؤال العمل عن الاصول العملية في الفكر والعلم ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، ط 1 ، 2012 ، ص 46.

² - المصدر نفسه ، ص 47 .

³ - بلقوضيل امينة ، الترجمة و سؤال الابداع في فلسفة طه عبد الرحمن ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، العدد 11 ، ديسمبر 2016 .

⁴ - أحمد بركاوي ، العرب وعودة الفلسفة، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 2، 2004 ، ص 31.

⁵ - طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص 119.

الاهلي، وإنما عن نقص فيها لوجود مانع يعترض طريقها، بحيث يدخل الانسان في عراك صريح مع هذا المانع، فكل ابداع يقتضي جهاداً، والجهاد لا يليق إلا بمقام الانسان "ويمكن تحديد هذه العوائق وكيفية تجاوزها عند طه عبد الرحمن كما يلي :

1- عوائق الابتكار الفلسفي: يعد الابتكار من بين مراتب الابداع، بل انطه عبد الرحمن يجعل من الابتكار أولها غير ان هذا النوع من الابداع يعترضه مانع التقديس الذي ينظر الى الفلسفة على انها انتاج عقلي خالص، لا يمكن انتاج افضل منه كما هو الحال مع الفلسفة اليونانية التي اصبحت تعرف بأسطورة او معجزة اليونان وان العقل البشري غير قادر على انتاج افضل منها مما اضى على الفلسفة اليونانية طابع التقديس مما ادى بالمتفلسف الى الاحتفاظ بالقول الفلسفي كما هو " ولم يحدث فيه اي تغيير، فانه يكون بذلك قد أوقع نفسه في تقديس ذلك القول، ويصبح هذا التقديس بمثابة مانع أو عائق يحول بينه وبين الابداع الفلسفي المبتكر "1 وبالتالي يمكن القول المتفلسف العربي وقع أسير للفلسفة اليونانية وكذلك للفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة ويظهر هذا التأثير من خلال تمسكه باللفظ والمضمون اثناء الترجمة حيث يقول طه عبد الرحمن " ظهر ان التقديس الذي وقع فيه المتفلسف العربي هو تقديس القول الفلسفي الاصلي، الاغريقي قديماً والأوروبي حديثاً، وقد أوقعه فيه سلوك المترجم ازاء هذا القول "2 وبهذا تصبح وظيفة المترجم تقتصر على ابلاغ المعنى و ايصاله الى المتلقي فقط، دون ان يفتح لنفسه باب الابداع في الفلسفة، في حين ان الغاية من الترجمة تكون ابداع قول فلسفي جديد مخالف للقول الفلسفي الاصلي لان الغاية من الترجمة ابداع الجديد لا استحضر الاصلي لفظاً ومضموناً كما فعل ابن رشد في ترجمته لأرسطو حي يقول طه عبد الرحمن " ليس مدلول الابتكار الفلسفي الا هذه القدرة على تصرف المتفلسف في ما بين يديه من الاقوال الفلسفية الاصلية، بحيث ينتج منها اقوالاً اخرى تنتفي فيها اسباب الاسطورة لفظية كانت او مضمونية "

4- عوائق الاختراع الفلسفي :

يعد الاختراع من بين مراحل ابداع القول الفلسفي عند طه عبد الرحمن حيث يعرفه بأنه "الابداع الذي يحصل من لا شيء، او ان شئت قلت يحصل من غير معطى سابق، والحال ان عدم وجود المعطى السابق في فعل من الافعال هو بمنزلة دعوة الى خرق حدود طاقة الانسان، والى خرق قانون طبائع الاشياء في الاتيان بهذا الفعل" 3 وان الذي يجب ان يخترقه المتفلسف هو اسطورة او معجزة الفلسفة اليونانية التي جعلت الفكر البشري يعتقد دوماً بان الفلسفة اختراع يوناني فقط، وكان الفلسفة ولدت مع اليونان وانتهت معهم، وهذا التقديس لمعجزة اليونان حال دون اختراع فلسفة عربية .

يرى طه عبد الرحمن ان للعرب دور كبير في اعطاء الفلسفة اليونانية تلك النظرة التضخمية والتقديسية وذلك من خلال نحت العدد من الاساطير حول الفلسفة اليونانية ومن بين هؤلاء يذكر طه عبد الرحمن الخليفة ابن المأمون الذي ادعى انه رأى في منامه ارسطو اليوناني يدعوه الى البحث عن الحكمة والعمل بها وبعد ان " تم نقل الفلسفة والتعرف عليها بدت لهم انها فكر استدلالي ومنطقي مختلف عما

1- محمد الشببة، عوائق الابداع الفلسفي العربي حسب طه عبد الرحمن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2016، ص 91 .

2- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص 117.

3- المصدر السابق، ص 122.

عهدوه لديهم من فكر هو عبارة عن اقوال وحكم متفرقة، ولا تقدم في شكل بناء عقلي صارم¹ والتالي تكون حاجتهم الى المعارف العقلية من اجل بناء معارفهم بناء عقليا منطقيا قائم على الاستدلال، فلقد كان هذا الاعجاب والانبهار في بالفلسفة اليونانية عند المتقدمين من فلاسفة العرب، اما عند المتأخرين فقد تأثروا بالقول الفلسفي الغربي واعتبروا ان ما توصل اليه الغرب اليوم يعد اختراع ليس له مثيل لذا نجدهم دوما يحاكون الفكر الغربي ويعتبرونه بمثابة قمة التطور الفلسفي وهذا يكشف عن عجز العرب على الاتيان بمثله و اصبحوا بذلك " يجبون الانتساب اليهم و التشبه بهم ويسعدون متى حظوا برضاهم، وكيف انهم يتقبلون اقوالهم ويتقبلون مع ارائهم و يندمجون في مذهبهم كما لو كانت من بنات مجاهم ! ثم كي انهم يستعظمون التعرض لآرائهم و يستصعبون درك منزلتهم، محتجين على تعبه لهم بكونهم ليسوا في لوضع الذي يؤهلهم لنقدهم او اللحاق بهم².

ان هذا الوضع لا يمكن في نظر طه عبد الرحمن تجاوزه إلا من خلال فكرة البيان اللساني لان "بيانية القول الفلسفي توجب على المتفلسف العربي ان يأخذ بمبدأ البيان التالي وهو: الاصل في القول الفلسفي ان يوضع باللسان الذي يتكلمه المتلقي، ولا يصار الى نقله من لسان غيره الا بدليل³ وهذا يتحقق من خلال وصل القول الفلسفي بالقول الطبيعي ووصل القول الفلسفي الاجنبي بالقول الفلسفي العربي ، فالوصل الاول يكون من خلال " رفع معاني هذا القول الى رتبة المفاهيم الفلسفية و رفع تراكيبه الى رتبة العلاقات المنطقية عن طريق ممارسة التوضيح والتحليل والتفسير بقدر يليق بمقام الفكر الفلسفي ذي الصبغة المجردة⁴ وهذا يساهم بدوره في ازدهار اللغة العربية ويوسع من طاقها ويجعلها تتطور من حيث المفاهيم ومعانيها انطلاقا من المجال التداولي الذي يتيح للفرد كافة الشروط الاجتماعية الثقافية التي تساعده على ممارسة الابداع، اما الوصل الثاني فانه يتمثل في ان الفكر العربي لا يمكن ان ينمو الا من خلال الاحتكاك بالغرب لكن يجب ان لا يكون هذا الاحتكاك بدافع التقليد بل من اجل " ان يطلعوا عليه وينظروا في الشروط والمقومات التي ساعدت الاخر على الابداع لكي يخلقوا شروطا ومقومات شبيهة بها، وتكون متناسبة مع القيم الاخلاقية والمعرفية السائدة في المجال التداولي العربي⁵، لان لكل فلسفة مجالها التداولي الذي ينبغي عليها مراعاته

5- عوائق الانشاء الفلسفي :

يعد الانشاء اعلى مراتب الابداع، فالتفلسف من خلال الانشاء يمكنه ان يجمع بين الاختراع والابتكار فالاختراع يكون من حيث اللغة الطبيعية والابتكار من حيث القول الاجنبي، وفي الانشاء يتم الجمع بين الاختراع و الابتكار، اي الجمع بين الصورة و المادة حتى لا يبقى الانشاء عبارة عن افكار مجردة وهذا يتطلب من المتفلسف ابطال مانع الانشاء الفلسفي الذي يتمثل في " اسطورتين تتفرعان عن اسطورة استقلال المضمون الفلسفي، وهما اسطورة اسبقية المعنى على اللفظ، واسطورة اسبقية النطق على الرسم⁶.

1 - محمد الشبة، عوائق الابداع الفلسفي العربي حسب طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 95 .

2- طه عبد الرحمن الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص 124 .

3- المصدر نفسه، ص 125 .

4- المصدر نفسه، ص 126 .

5- محمد الشبة، عوائق الابداع الفلسفي العربي حسب طه عبد الرحمن ، ص 98 .

6- المرجع السابق، ص 99.

يرى طه عبد الرحمن ان الانشاء الفلسفي هو فعل يتم برمجته في شكل مضمون بالاعتماد على تراكيب لغوية وبلاغية، اي ان هناك ترابط وثيق بين اللفظ والمعنى، فالمضمون لا يمكن ان يتحقق خارج الالفاظ، كما ان الالفاظ تحمل معاني ومضامين وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان المضمون والشكل متداخلين ومتشابكين، وهذا يفرض على المتفلسف العربي ان لا يخرج عن حدود اللغة العربية بألفاظها ومعانيها وبلاغتها وهو ما أكد عليه طه عبد الرحمن بقوله: "الاصل في القول الفلسفي ان يأتي الاستشكال و الاستدلال فيه على وفق الاشكال النصية للسان الذي يوضع به هذا القول"¹ وبهذا فان طه عبد الرحمن يعتبر ان الاستدلال العقلي مقترن لغة المتلقي، وبهذا يجب على المتفلسف ان يكون مضمون ابداعه مرتبط بلغة المتلقي التي تميز مجاله التداولي "لان الشكل اللفظي لا يمد المضمون بمجرد سند يستند اليه في ظهوره، وانما بالمادة نفسها التي يصير بها شيئاً منطوقاً كما يتحقق، على العكس من ذلك، بان المضمون المعنوي لا يمد الشكل اللفظي بمجرد مادة ينطع فيها، وانما بطريقة العرض نفسها التي ينبغي ان يرد بها"².

وبهذا يمكن القول ان الابداع في القول الفلسفي لا يمكن ان يتحقق الا من خلال اجتماع الابتكار والاختراع والانشاء، فهذه بمثابة عوامل في نظر طه عبد الرحمن تعمل مع بعضها البعض في ابداع القول الفلسفي العربي الاسلامي، مما يجعل من هذه الثلاثية حقيقة لا بد منها اذا اردنا ابداع فلسفة عربية اصيلة تتماشى والمجال التداولي للمتفلسف العربي لان اولها " خطاب، وكل خطاب يضع في الاعتبار المتلقي، والثانية انه بيان، وكل بيان يضع في الاعتبار لسان المتلقي، والثالثة انه كتابة، وكل كتابة تضع في الاعتبار بلاغة هذا اللسان"³

6- الابداع و تأسيس حداثة اسلامية :

لقد كان مشروع طه عبد الرحمن الحدائي دعوة الى بناء حداثة عربية اسلامية تستند على جملة من المبادئ تمثلت في مبدأ الرشد ومبدأ الشمول ومبدأ النقد، واعتبر طه هذه المبادئ كفيلة بإبداع حداثة عربية اصيلة، ولقد أكد على فكرة الابداع و اعتبره من بين الآليات التي يمكنها ان تنشئ لنا حداثة عربية، فقد ادرج الابداع في مبدأ الرشد، وكأن الانسان في هذه الحالة لا يمكنه ان يبدع الا اذا كان راشداً، بمعنى انه ليس تحت وصاية اي انسان اخر، وبالتالي فإن الفرد العربي اذا اراد ان يجد لنفسه حداثة عربية اسلامية عليه ان يتحرر من كل وصاية خارجية حتى يتمكن من الابداع، فالإبداع في هذه الحالة يكون من الداخل لا من الخارج ذلك لأنه " لا مناص للامة العربية اذا ارادت ان تدخل سباق التقدم مع الامم المتحضرة ان تبحث عن طرائق الابداع الذاتي التي لن تتأتى ابدًا عن طريق التقليد، وإنما ترسيخ الذات الانسانية و تحصيل المعية الالهية"⁴ بمعنى انه ينطلق من واقع الامة العربية الاسلامية و مضامينها التراثية نحو ايجاد نموذج جديد يتوافق ومضامينها ومقوماتها ويصنع في الوقت ذاته من المجتمع العربي الاسلامي مجتمع حدائي حيث يقول طه عبد الرحمن ان من "لم بدع لا يستحق أن يكون حدائياً"⁵.

¹ - طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص 131 .

² - المصدر نفسه، ص 131 .

³ - المصدر السابق، ص 134.

⁴ - غيضان السيد علي، مشروع طه عبد الرحمن الفلسفي والحق في الابداع الفكري الاسلامي، مؤمنون بلا حدود مؤسسة دراسات وابحاث، ص 4.

⁵ - طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013، ص 105.

لقد جعل طه عبد الرحمن الابداع شرطاً ضرورياً في للدخول في مرحلة الحداثة، فوجه نقد شديد للذين يدعون الحداثة، واعتبر ان جميع مشاريعهم التحديثية هي في جوهرها تقليد واتباع، اي انهم لم يبدعوا حداثة بقدر نقلهم للحداثة الغربية على مستوى المناهج و الافكار والرؤى حيث يقول في هذا الصدد: "فإني أرى أنه لا وجود لحداثة عربية، فالحدائثيون العرب هم أصلاً مقلدون صريحون فعلى سبيل المثال، اذا ظهرت التفكيكية، صاروا تفكيكيين، وإذا ظهرت النبوية صاروا بنويين، وهكذا" فالحداثة ليست تقليد للآخر وإنما هي ابداع وتحرر من كل وصاية و تبعية للآخر وذلك من اجل الوصول الى حداثة تكون منبثقة من صميم الذات العربية الاسلامية بمعنى ان الحداثة هي "أن تنشئ من عندك الجديد وتولده، وتأتي ما يندش له غيرك ويتلقاه لا بعقله فقط، بل أيضا بوجوده وهو يحمل إليه قيمة أو قيمة جديدة، وهذا هو الإبداع الذي هو سر الحداثة" ¹ والابداع لا يمكن ان يكون مقتصرًا على مجال بعينه بل يشمل كافة المجالات، كما يشمل أيضا الاقوال والأفعال والأفكار لأن الإنسان المبدع يضع في الحسبان جميع مآلات الإبداع ولا يفضل أمر على حساب أمر وهذا ما يجعل المبدع الحقيقي يتميز على المبدع الاتباعي الذي لم يتمكن من الخروج من المسار الذي رسمه لنفسه في اطار حداثة الغرب او من خلال تمسكه بتراث اجداده كما هو دون اي محمول لإبداع ما هو افضل غير ان الابداع الاتباعي " لا يصوغ من الألفاظ إلا ما صاغه غيره، ولا يستعمل من الجمل إلا ما استعمله، ولا يصوغ من النصوص إلا ما وضعه، لا يكاد يزيد على هذا أو ذاك شيئاً يكون من إنشائه لا من إنشاء غيره" ² فالإبداع الحق لا يكون من خلال تحلي عن التراث و تقليد الغرب، بل هو ينطلق من التراث نحو بناء المستقبل " وان يكون في حركة جدل مع ما سبقه انه يأخذ عن الماضي والحاضر ويتجاوزهما في الآن نفسه، انه عودة بخطوة وقفزة بخطوات، أخذ وعطاء، اتصال وانفصال" ³.

ان الابداع الذي تتأسس في ظلّه الحداثة العربية الاسلامية هو الابداع الموصول وليس المفصول، اي هو الابداع المتشعب بالتراث والدين الاسلامي وهذا ما يجعل الحداثة العربية تكون مخالفة للحداثة الغربية القائمة على الابداع المفصول، لان الحداثة الغربية قطعت صلتها بتراثها خاصة الديني من خلال تبنيها للعلمانية واعتبار ان الدين كان سببا في تخلف اوربا طيلة العصور الوسطى التي ساد فيها حكم الكنيسة وبالتالي فان طه عبد يستبدل الابداع الغربي المفصول ويستبدله بالإبداع الموصول الذي "لا يقطع فيه الانسان صلته إلا بما لم يعد نافعا او صار ضرره أكبر من نفعه، دون ان يضع في الحسبان زمنه... رافضا ان يكون هم الانسان الظهور بمظهر من يقطع صلته بماضيه كما هو الحال في التطبيق الغربي" ⁴

7- الترجمة كمجال للإبداع عند طه عبد الرحمن:

تعد الترجمة افضل مجال يمكن من خلاله الانسان ان يبدع، ففي الترجمة تظهر قدرات الفرد المبدع، لان الترجمة في نظر طه عبد الرحمن ليست ترجمة و فقط، بل هي ترجمة مرتبطة بالإبداع " تتداخل مقتضياته مع مقتضياتها، ولا نفع في الترجمة ما لم تفتح للواقف

¹ - المصدر نفسه، ص 105.

² - محمد عاطف العراقي، ثورة العقل في الفلسفة العربية، دار المعارف، مصر، ط 4، 1978، ص 11

³ - لطفي حجابوي، فلسفة الابداع: نحو اعادة ترتيب الفهم العربي للحداثة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 48، ديسمبر 2017، ص 15.

⁴ - بلفوضيل يمينة، الترجمة و سؤال الابداع في فلسفة طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 81.

عليها طريق تحصيل الواقف على الأصل وعلى ذلك فلا يمكن للفيلسوف الحق إلا ان يكون مترجما مبدعا لا مترجما معلما ولا مترجما متعلما¹، حيث اعتبر ان الترجمات العربية الى اليوم تفتقر الى الابداع، فقد كانت مجرد تحصيل حاصل، كما انها لم تخرج من التقليد، لذا لم تساهم الترجمة من قبل في تطور الفكر العربي، بقدر ما ساهمت في تراجع وتبعيته للآخر.

يرى طه عبد الرحمن ان الغاية من الترجمة لا تكمن في الترجمة من اجل الترجمة او الترجمة من اجل معرفة ما يحمله النص الاجنبي من معاني، بل ان الترجمة تكون بهدف الاعتماد عليها في ابداع تصورات ومفاهيم جديدة وهذا يتطلب من المترجم ان لا يكون مقلدا في ترجمته إما مقلدا بالنسبة لغيره من المترجمين او مقلدا لصاحب النص فيما يحمله هذا النص من معاني وافكار وبالتالي ينبغي له ان يتحرر من سلطة النص ومن سلطة صاحب النص حتى يتمكن من الابداع لان الابداع لا يمكن ان يكون إلا في جو من الحرية الفكرية التي تتملص من كل اشكال الوصاية .

ان الترجمة في نظر طه عبد الرحمن تبقى ضرورة لا بد منها ، لكن هذه الترجمة رغم وجودها وبقوة في الفكر العربي إلا ان حضورها لم يكن حضور فعال فالفلسفة العربية ميتة رغم وجود الترجمة، حيث يقول طه عبد الرحمن " ان الترجمة بالنسبة الى الفلسفة العربية مسألة حياة او موت، إلا ان ذلك لا يعني ان الفلسفة تحيا بوجود الترجمة وتموت بفقدانها، بل ان الفلسفة قد تموت مع وجود الترجمة، وأظن أن هذا هو وضع الفلسفة العربية، فعلى الرغم من وجود الترجمة، فهي اشبه بالميت منها بالح، لان حياة الفلسفة تقاس بوجود الابداع فيها وموتها بفقدان هذا الابداع منها، والفلسفة العربية الابداع فيها².

ان تشكل الفلسفة العربية في نظر طه عبد الرحمن يكون قائم على وجود الابداع الذي تفتقر اليه كما قال وهذا ما دفع به الى اعتبارات الفلسفات التي ظهرت في الفكر الفلسفي المعاصر مجرد فلسفات مقلدة تحاكي الفكر الغربي و تستحضره كما هو، دون ان يكون هناك ابداع، وبالتالي فان الفلسفة العربية هي فلسفة غربية بكلمات عربية بكفاء " ويأتي بكمها من انها تريد ان تنطق لغة اجنبية في لغة عربية، فلا هي نطقت هذه اللغة ولا تلك، ويأتي عماها من كونها تريد ان تبصر مجالا اجنبيا في مجال عربي، فلا هي ابصرت هذا المجال ولا ذاك³

وانطلاقا من هذا نجد ان طه عبد الرحمن رأى ان الفلسفة العربية استندت الى ثلاث انواع من الترجمة يمكن حصرها في ما يلي :

1- الترجمة التحصيلية: ويقصد بها الترجمة الحرفية للنص الاصلي من اجل المحافظة على مضمونه كما هو انطلاقا من الفاظ النص الاصلي، وعن هذا النوع من الترجمة يقول طه عبد الرحمن: " الترجمة التحصيلية تتوخى الحرفية اللفظية، بحيث لا لفظ من الفاظ النص الا ونقلته، وقد تزيد الفاظها عن الفاظ النص الاصلي، و لكن الراجح ان لا تنقص عنها⁴، وبالتالي فان الترجمة التحصيلية تهتم بالترجمة الحرفية وحتى وان كان المعنى اي المضمون ليس له اي اهمية اي المهم ان تكون الترجمة الشكلية صحيحة حتى وان كانت تؤدي الى

¹ - غيضان السيد علي ، مشروع طه عبد الرحمن الفلسفي و الحق في الابداع الفكري الاسلامي، ص 54.

² - طه عبد الرحمن، حوارات من اجل المستقبل، المصدر السابق، ص 105.

³ - المصدر السابق، ص 105.

⁴ - المصدر نفسه، ص 109.

مضمون غير واضح و هذا النوع من الترجمة يرفضه طه عبدالرحمن فهي تمثل " الدرجة الصفر في الترجمة والتي لا ترضى كترجمة حتى في النصوص البسيطة القانونية والصحافية منها " ¹ .

2- الترجمة التوصيلية : وهي الترجمة التي تعطي اهمية كبرى للمضمون، اي انها تقوم على المعنى المضموني لا على المعنى الحرفي حيث يعرفها طه عبد الرحمن بأنها: " تتوخى الحرفية المضمونية، بحيث لا معنى من معاني النص الا نقلته، سواء طابقت الفاظها الفاظ النص الاصلي أو بابنتها، زيادة أو نقصانا، لكن الراجح انها تباينها " ² . وهذا النوع من الترجمة اشتهر به ابن رشد الذي لقب بالشارح الاعظم لأرسطو، حيث يرى طه عبد الرحمن انه قدم من خلال ترجماته لأرسطو خدمة كبيرة للغرب لا للعرب، اي ان ترجمته لم تكن ابداعية وبالتالي لم تساهم في تطور الفكر العربي الاسلامي بل كانت سببا في الانتكاسة الابداعية التي اصابته، لكنها تبقى عند طه عبد الرحمن افضل من الترجمة التحصيلية.

3- الترجمة التأصيلية: وهي الترجمة التي تنظر الى المعنى واللفظ وتحاول التصرف فيهما معا لان "الترجمة التأصيلية تستبدل بتطويل العبارة الذي تقع فيه الترجمة التحصيلية، اختصارا فيها كما تستبدل بتحويل المعاني الذي تقع فيه الترجمة التوصيلية تهوينا لها " ³ وهذا النوع من الترجمة هو المطلوب عند طه عبد الرحمن وهو النوع الذي يمكن العربي المسلم من الابداع في مجاله التداولي فمن خلال مراعاته يحقق النبوغ في الفلسفة والفكر ويتخلص من التقليد والاتباع للآخر الغربي: "فلا خروج من التقليد الا بجعل المترجمات تحيا في فكر المتلقي، و لا حياة لها الا اذا تم وصلها بأسباب موجودة اصلا في هذا الفكر " ⁴ . وقد مارس طه عبد الرحمن هذا النوع من الترجمة على الكوجيطو الديكارتي ذاهبا في ذلك الى ان ترجمة مقولة ديكارت: "انا افكر اذن انا موجود "ترجمة ركيكة وتحصيلية بعيدة كل البعد عن معناها الحقيقي وهو الذي توصل اليه طه عبد الرحمن في قوله: " انظر تجد " ⁵

والترجمة التأصيلية اذا ارادت ان تكون ترجمة فعالة عليها ان تعمل على مراعاة المجال التداولي للقارئ الذي يتمثل " المجال اليومي بمقوماته و محدداته قيما ومعارف ومشاكل وهموم و افقا وما اليها من امور الواقع " ⁶ بغرض ان تكون ترجمة عملية لها مفعول على الواقع العربي وبذلك يكون هنا الابداع ذو قيمة وأهمية لأنه ساهم في تغيير الواقع القائم نحو ما هو افضل .

خاتمة :

¹ طه عبد الرحمن ، الحوار أفقا للفكر ، المصدر السابق، ص 72.

² - المرجع نفسه، ص 72.

³ - طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، المصدر السابق، ص 109.

⁴ - المصدر السابق ، ص 109.

⁵ - المصدر نفسه، ص 113.

⁶ - الزاوش يمينة ، الفلسفة والترجمة دراسة تحليلية لدور الاقليات في ترجمة التراث العربي الاسلامي اليهود أنموذجا ، بحث اعد لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة وهران ، 2014 / 2015 ، ص 156 .

وفي الختام يمكن القول ان الابداع هو وسيلة الامة العربية في النهوض والتحرر من كل تبعية، وأن بالإبداع يمكن لهذه الامة ان تصنع وجودها وتثبت ذاتها، وتصنع لنفسها فلسفة تضاهي الفلسفات الغربية من حيث الطرح والفكر والمناهج، لأنها منبثقة من داخل الامة العربية الاسلامية لا مستوردة من غيرها، حيث يبقى المجال التداولي هو المجال الذي يتحرك في ظله الابداع ويبدع المتفلسف في اطاره حتى تكون فلسفته خادمة لمجاله التداولي، وتكون قريبة من وضع الانسان العربي.

ان ابداع القول الفلسفي عند طه عبد الرحمن يكون وفق ثلاث مراحل اساسية، تبدأ بالابتكار وتنتهي بالإنشاء ويتوسطها الاختراع الذي يعد أكثر قوة من الابتكار والإنشاء هو الصنعة التي تجمع بين صورة الابتكار ومادة الاختراع، فاجتماع هذه الثلاثية ينتج فلسفة عربية اسلامية أصيلة تتفق والمجال التداولي للمتفلسف، وتعد الترجمة خير ميدان يمكن من خلاله ان يبدع المتفلسف، حيث يتجاوز التبعية بنوعها التوصيلية والتحصيلية التي كبلت الفكر العربي لقرون واستبدالها بالترجمة التوصيلية التي لا يكتفي فيها المترجم بالنقل الحرفي والمضموني للنص، بل يستعين بهذا النص ويستغله وفق ما يحتاجه مجاله التداولي .